

تفسير أبي السعود

سورة الحج 15 16 أى من تحت أشجارها وإن جعلت عبارة عن مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى أوائل سورة البقرة وقوله تعالى إن ا^ا يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها إثابة من آمن به وصدق رسول ا^ا A وعقاب من اشرك به وكذب برسول ا^ا A ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له A عقب بقوله عز وعلا من كان يظن أن لن ينصره ا^ا فى الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريراً لثبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه إيجاز بارع واختصار رائع والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف بلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعدائه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعتة ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكاييد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود فقصارى أمره وعاقبة مكره أن يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم إنتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع أى ليختنق من قطع إذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليطع الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر فى قوله تعالى فليُنظر هل يذهب كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره أى فليصور فى نفسه النظر هل يذهب كيده ذلك الذى هو أقصى ما انتهت إليه قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصره كلا ويجوز أن يراد فليُنظر الآن أنه إن فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره ويأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الأمور المفروضة على تقدير وقوعها وتحقيقها بمعزل من إذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الأمور الممتنعة وترتيب الأمر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحي فإن فرض وقوعه مخل بالمرام قطعاً وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطنون ما وعد ا^ا ورسوله A من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه A ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى أن الرزاق بيد ا^ا تعالى لا تنال إلا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن ا^ا تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يغلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك أى مثل ذلك الإنزال البديع المنطوى على الحكم البالغة أنزلناه أى القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات أى واضحات الدلالة على معانيها

الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما أشير إليه بذلك وأن ا ىهدى به ابتداء أو
يثبت على الهدى أو يزيد فيه من يريد هدايته